

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

. @ 388 @

2 - قاعدة المحققين في مسائل الدين وعلماء الفرق .

قال المحقق ابن القيم رحمه الله () في كتابه طريق الهجرتين : (إن عادتنا في مسائل الدين كلها ، دقها وجلها ، أن نقول بموجبها ، ولا نضرب بعضها ببعض ، ولا نتعصب لطائفة على طائفة ، بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق ، ونخالفها فيما معها من خلاف الحق ، لا نستثنى من ذلك طائفة ولا مقالة ، ونرجو من الله أن نحيا على ذلك ونموت عليه ، ونلقي الله به ، ولا قوة إلا بالله .) انتهى .

وقال حكيم مصره بل عصره ، الشيخ محمد عبده مفتي مصر ، في كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، في مبحث (سماحة الإسلام) ما لفظه : (أخذ بيد القارئ الآن ، وأرجع به إلى ما مضى من الزمان ، وأقف به وقفه بين يدي خلفاء بني أمية ، والأئمة من بني العباس ، ووزرائهم . والفقهاء والمتكلمون والمحدثون والأئمة المجتهدون من حولهم والأدباء والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون والجغرافيون والطبيعيون ، وسائر أهل النظر من كل قبيل ، مطيفون بهم ، وكل مقبل على عمله ، فإذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ، ووضع يده في يده ، يصاح الفقيه المتكلم ، والمحدث الطبيب والمجتهد الرياضي ، والحكم ، وكل يرى في صاحبه عوناً على ما يشتغل هو به ، وهكذا أدخل به بيتاً من بيوت العلم ، فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت ، يتحادثون ويتباحثون ، والإمام البخاري حافظ السنة بين يدي الحسن البصري شيخ السنة من التابعين ، يتلقى عنه ، وقد سئل الحسن عنه فقال للسائل : (لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبية ، وكأن الأنبياء ربه إن قام بأمر قعد به ، وإن قعد بأمر قام به ، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له ، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه ، ولا باطناً أشبه بظاهر منه .) بل أرفع بصرى ، فأجد الإمام أبا حنيفة أمام الإمام زيد بن علي ، صاحب مذهب الزيدية من الشيعة ، يتعلم منه أصول العقائد والفقهاء ، ولا يجد أحدهم من الآخر إلا ما يجد